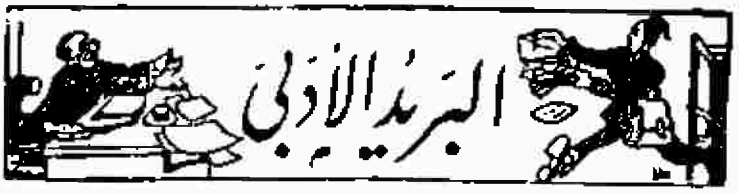

مصحف من عهد عثمان بن عفان في روسيا :

هكذا نشرت الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩ .

وإذا كان المشتغلون بالحفريات ، وبالتنقيب عن الآثار ، يسرهم أعظم السرور وأطيبه ، أن يجدوا قطعة حجر متآكلة ، قد نقشت عليها بضع كلمات ؛ رجاة أن يقدموا إلى العلم شيئاً ؛ وإن يكن تصحيحاً لتاريخ وفاة أمير ، أو ميلاد وزير ، أو نسب وليد ، فقدّر كم يكون سرور المعنيين بالمخطوطات ، حين يجدون كتاباً ضخماً ، يحوي بين دفتيه كثيراً من العلوم والمعارف ، والآراء والنظريات ؟! خصوصاً إذا كان موغلاً في القدم ، ويرجع تاريخه إلى ما يقرب من الثلاثة عشر قرناً .

وقدر كم يكون سرور المشتغلين بالإسلاميات على وجه العموم وسرور المسلمين على وجه الخصوص ، إذا كان هذا المخطوط ، هو المصدر الأول لعقائد المسلمين وثقافتهم ؟!

إنه لا يداخل المسلمين أدنى شك ، في صحة كتابهم ، ولا في شيء مما يحتويه من آي هي غرر البيان ومعجزة الدهر ؛ تتقدم العلوم ، وتتسامى الفهوم ، وتتكشف الحقائق ، وتتجلى الغوامض ؛ ولا يزيده ذلك إلا ثباتاً ورسوخاً ، وانضماماً ووضوحاً ؛ حتى لقد كان أن بعد لدى الباحثين على اختلاف مشاربهم ، وتباين ميولهم ونزعاتهم ، معيار الحقيقة ، يكون حظ الفكرة من القبول أو الرفض بمقدار ما تنال من القرب منه أو البعد .

ولكن هذا لا يمنع من أن يداخلهم سرور أي سرور ، حين يجدون لهذه النسخ التي بين أيديهم أصلاً يرجعون إليه ، ويطابقونها عليه ، ليكون النسب متصلاً .

وإذا كان المسلمون الذين امتزج الإسلام بطبيعة وجودهم ، وجرى منهم مجرى الدم في شرايينهم ، لا يحسون أن هناك فراغاً كان ينتظر هذا المخطوط ليشغله ، ولا أن هناك نقصاً جاء هذا المخطوط فكمله ؛ فهم على حق في حكمهم ؟ لأن العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ الكتاب الكريم وصيانته من أن تمتد إليه يد بتحريف أو تبديل .

ولكنهم يكونون على حق أيضاً ، حين لا يغفلون ما عسى أن تتطلع به نفوس غير المسلمين ، أو حديثو العهد بالإسلام من تساؤل حول نسب هذه النسخ التي بين أيدينا الآن .

وحين لا يغفلون ما تتطلع به نفوس العلماء والباحثين ، من افتراضات واعتراضات ، تتطلب إجابات من نحو آخر ، غير تلك الإجابات التي تقوم على أساس من التفويض إلى ما تكفلت به العناية الإلهية .

وإن أنس لا أنس ذلك الحرج الذي شرت به حين وجه إلينا — أنا ونفر من هيأة التدريس بكلية أصول الدين — ذلك الشاب الأمريكي المسلم ، الذي حضر إلى مصر بمناسبة ، وإلى الأزهر بخاصة ، منذ عامين تقريباً ، ليتأكد من صحة إسلامه ، بعرضه على الهيأة المختصة ، وليؤكده بإزالة ما عسى يكون في نفسه من شبه وشكوك حول العقيدة ، على يدي العلماء المختصين بهذه الشئون . أقول : لست أنسى ما شرت به من حرج حين وجه إلينا ذلك الشاب هذا السؤال الذي لم يكن لدينا جميعاً جواب عنه :

« هل يوجد لديكم أصل من مصحف عثمان ؟ وكيف يطمئن الباحث الحر إلى أن ما بأيديكم الآن هو صورة طبق الأصل منه ؟ »

وقد شاءت إرادة الله أن تظفرنا بجواب هذا السؤال — وإن يكن بعد عامين — عن طريق هذا الأثر العلمي الجليل .

وإني لا أشك في أن فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر — بما عرف عنه من غيرة على الدين ، وحرص على خدمته ، وقصر الجهود على رفع شأنه — لن يدخر جهداً أو مالاً في سبيل العمل للحصول على هذا الأثر العلمي الجليل ، الذي تكمل به مكتبتنا وتقوى به حجتنا .

وإني — ليشهد الله — لجد مشفق على هذا الأثر النفيس ، حين أنظر إلى صورته في الأهرام ، وهو بين يدي علماء التركستان ، يقلبون أوراقه ، ثم يبدون القراءة فيه ويعيدون ، وأخشى أن لا يكونوا مقدرين لقيمته العلمية ، وأنه أحق من أن يستعمل للقراءة والاستذكار ؛ فتسرع إليه يد الفناء ، إذ حسبنا منه أن يكون أصلاً نرجع إليه عند الضرورة .

فالهم وفق للعمل على اجتلاب هذا الأثر وصيانته ، وإحلاله من نفوس أولي الأمر وعنايتهم في المكان اللائق به .

سليمان دنيا
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين
وبعوث الأزهر بجامعة لندن